وعن يحيى بن ميمون الحضرمي قال لما فتح عمرو بن العاص مصر صولح
عن جميع من فيها من رجال القبط ممن راهق الحلم إلى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة
ولا شيخ ولا صبي فأحصوا بذلك على دينارين دينارين فبلغت عدتهم ثما
نية آلاف ألف وفي الحديث المتقدم أن المقوقس شرط للروم أن
يخيرهم فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام لازما لذلك مفترضا عليه ممن أقام بالا
سكندرية وما حولها من أرض مصر كلها ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم
خرج وعلى أن للمقوقس الخيار في الروم خاصة حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه
ما فعل فإن قبل ذلك ورضيه جاز عليهم وإلا كانا جميعا على ما كانا عليه وكتب
المقوقس إلى ملك الروم يعلمه بالأمر على وجهه فكتب إليه ملك الروم يقبح
رأيه ويعجزه ويرد عليه ما فعل ويقول في كتابه إنما أتاك من العرب اثنا
عشر ألفا وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى فإن كان القبط كرهوا القتال
وأحبوا أداء الجزية إلى العرب واختاروهم علينا فإن عندك بمصر من
الروم وبالاسكندرية ومن معك أكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة
والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت فعجزت عن قتالهم ورضيت
أنت ومن معك من الروم أذلاء في حال القبط ألا فقاتلهم أنت ومن معك
من الروم حتى تموت أو تظهر عليهم فإنهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم
وعلى قدر قلتهم وضعفهم كأكلة فناهضهم القتال ولا يكن لك رأي
غير ذلك وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا إلى جماعة الروم فقال المقوقس
لما أتاه الكتاب والله إنهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على
كثرتنا وقوتنا إن الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا وذلك أنهم
قوم

قوم الموت أحب إليهم من الحياة يقاتل الرجل منهم وهو مستقبل يتمنى
أن لا يرجع إلى أهله ولا بلده ولا ولده ويرون أن لهم أجرا عظيما فيمن قتلوا منا
ويقولون إنهم إن قتلوا دخلوا الجنة وليس لهم رغبة في الدنيا ولا لذة إلا قدر
بلغة العيش من الطعام واللباس ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة
ولذتها فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا معهم واعلموا معشر
الروم أني والله لا أخرج مما دخلت فيه ولا صالحت العرب عليه وإني لأعلم
أنكم سترجعون غدا إلى قولي ورأيي وتتمنون أن لو كنتم أطعتموني وذلك
أني قد عاينت ورأيت وعرفت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه ويحكم
أما يرضى أحدكم أن يكون آمنا في دهره على نفسه وماله وولده بدينارين
في السنة ثم أقبل المقوقس إلى عمرو بن العاص فقال له إن الملك قد كره ما
فعلت وعجزني وكتب إلي وإلى جماعة الروم أن لا نرضى بمصالحتك وأمر
هم بقتالك حتى يظفر بك أو تظفر بهم ولم أكن لأخرج مما دخلت
فيه وعاقدتك عليه وإنما سلطاني على نفسي ومن أطاعني وقد تم
صلح القبط فيما بينك وبينهم ولم يأت من قبلهم نقض وأنا متم لك
على نفسي والقبط متمون لك على الصلح الذي صالحتهم عليه وعاهدتهم
وأما الروم فأنا منهم بريء وأنا أطلب إليك أن تعطيني ثلاث خصال قال له
عمرو وما هن قال لا تنقض بالقبط وأدخلني معهم وألزمني ما لزمهم فقد
اجتمعت كلمتي وكلمتهم على ما عاهدتك عليه وهم متمون لك على ما تحب
وأما الثانية إن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم
فيئا وعبيدا فإنهم أهل لذلك لأني نصحتهم فاستغشوني ونظرت

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)